العلاج بالمياه المعدنية

لم يكد فصل الصيف يبتدىء حتى اخذ الكبراء من رجال الحكومة وغيرهم يغادرون هذا القطر ذاهبين الى اوربا للاستحمام بمياهها المعدنية تقوية للابدان او استشفاء من الامراض . والذين عادوا منهم يروون لك العجائب عن فوائد تلك المياه . وهذا شأن الاوربيين في بلادهم فانهم يقصدون الاماكن التي فيها مياه معدنية للاستحمام بها استقواء واستشفاء . وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور ادجكوم في جريدة نائتر العلمية وصف فيها الحمامات المعدنية وطرق المعالجة بها وكيفية حصول النفع منها فاعتمدنا عليها في كتابة السطور التالية

وان من ينظر في طرق العلاج المستعملة الآن يستغرب ما يراهُ من الاهتمام المتزايد بالمياه المعدنية واستعمالها في معالجة الامراض . فان الوفًا من المرضى يتقاطرون كل سنة الى الاماكن التي تنبع منها هذه المياه للاستشفاء بها وكثيرون من الذين زاروا تلك الاماكن واستحموا بمياهها يرون الذهاب اليها قد صار فرضًا لازمًا عليهم فيقصدونها عامًا بعد عام كأنهم يحتاجون الى علاج سنوي تقتضيه ابدانهم . وهذا الامر ليس حديثًا فان الناس من عهد اليونان والرومان كانوا يعتقدون فائدة المياه المعدنية وكانت حمامات بجكا مشهورة في عهد ليفيوس المؤرخ الروماني الشهير الذي نشأ منذ الف وتسع مئة سنة . والظاهر ان الرومان اقتدوا باليونان في الاستحمام بالمياه المعدنية وتبعهم الذين جاءوا بعدهم من الامم

ومعلوم ان العامة تدَّعي بفوائد طبية كثيرة للحمامات المعدنية والاطباء لا ينفون هذه الفوائد بل ان كثيرين منهم يثبتونها ويكثرون من وصف الحمامات للمرضى فيليق بالباحث المدقق ان يعلم هل لاعتقاد العامة وجمهور الاطباء في المياه المعدنية سند على سواه استُعملت للاستحمام او للشرب . وهل فائدتها تفوق فائدة ما سواها من طرق العلاج حتى يُعدَل عنها اليها . وهل تقتصر الفائدة على استعمال هذه المياه في مواطنها او يحسن ان تستعمل في اماكن اخرى او يحسن تركيب ميله مثلها واستعمالها في بيت المريض بدلاً من نقله الى اماكن المياه المعدنية

وقد كان استعمال المياه المعدنية في صناعة العلاج اجتهاديًّا فقط مبنيًّا على التجارب والاختبار المطويل ولم يكن لهُ سند علمي لكن العلماء لم يكتفوا بذلك بل اخذوا يبحثون ويحققون فوجدوا ان المياه المعدنية تقسم الى خمسة اقسام مياه كبريتية ملحية . ومياه كبريتية فقط . ومياه كبريتية وملحية حديدية . ومياه حديدية . ولكل قسم منها درجات مختلفة حسب كثرة المواد الذائبة في الماء وقلتها . والمياه النقية جدًّا من هذه الانواع تستعمل للشرب وغير النقية تستعمل للاستحمام

وقد ظهر بالاختبار الطويل ان امراض الكبد وانواع النقرس والروماتزم والامراض الجلدية على انواعها تفيد فيها كلها المياه المعدنية . ثم ظهر بالتجارب العلمية ان المياه الكبريتية التي تستعمل في مداواة المصابين بامراض الكبد تزيد افراز الصفراء فتكثر كميتها و يسرع خروجها وتكثر المواد الجامدة فيها دلالة على ان هذه المياه تقوي الكبد وتزيد فعلها و يستدل على ذلك ايضاً بكثرة خروج المادة البولية من الجسم . ولذلك تفيد هذه المياه في النقرس وقد تفيد ايضاً في الاحوال التي يزيد فيها امتلاء الدم لانها تخفضهُ قليلاً

وامتحنت المياه الحديدية فوجد انها تسرع تكوُّن كريات الدم الحمراء وتقوي القوة الحيوية في الجسم كلهِ . فالمياه التي فيها كلوريد الحديد تزيد افراز اليوريا وتقلل الحامض اليوريك . وغيرها من المياه الحديدية يزيد افراز الصفراء ولا يزيد المواد الجامدة فيها . وهلمَّ جرًّا من الادلة القاطعة على ان المياه المعدنية تؤثر في الجسم تأثيرًا حقيقيًّا

ثم ان طرق الاستحمام تفيد لذاتها ولو لم يكن فائدة من نوع الماء . ونقسم الحمَّامات من هذا القبيل الى اربعة اقسام حمامات حارَّة وحمامات حارَّة كيماوية وحمامات حارَّة ميكانيكيَّة وحمامات حارَّة كهربائية . فالاولى اي الحمامات الحارَّة فقط يتوقف فعلها على درجة حرارة الماء وتستعمل فيها المياه الحارَّة والباردة والحمام التركي والروسي وحمام الهواء الساخن وما اشبه . والثانية اي الحمامات الحارَّة الكيماوية يتوقف فعلها على درجة الحرارة وعلى المواد الكيماوية الذائبة في الماء سواء كانت ملحية او قلوية او حديدية . والثالثة اي الحمامات الحارَّة الميكانيكية يتوقف فعلها على حرارة الماء وعلى فعلهِ الميكانيكي في صبهِ ورشهِ وعلى الدلك وقت استعمالهِ . والرابعة اي الحمامات الحارَّة الكهربائية يتوقف فعلها على الجاري الكهربائية التي تجري في الماء وقت الاستحمام سواء كانت متصلة او متقطعة

ولكل من هذه الحمامات فعل خاصٌّ بهِ ولاسيما اذا استُعمل بالحكمة وروعيت في استعمالهِ بعض القواعد . فان الاستحمام ولو بالماء العادي يؤثر في الجسم ووظائف اعضائهِ المختلفة فاذا اضيف اليهِ مواد اخرى واختلفت حرارتهُ عن حرارة الجسم كان تأثيرهُ فيهِ اشد وتنوَّعت درجات هذا التأثير بتنوع المياه وطرق استعمالها

واشد تأثير الحمامات في الدورة الدموية فان القلب يدفع الدم وما فيهِ من الغذاء المستخلص من القناة الهضمية الى الاوعية الدموية اي الشرايين والاوعية الشعرية والاوردة فيمرها في كل اجزاء الجسم يعطيها الغذاء الذي تحتاج اليهِ ويأخذ منها الفضول وذلك بتبادل السوائل من جدران الاوعية الشعرية بين الجسم والدم ثم يعود بهذه الفضول لتخرج من الجسم . فكل

ما يغير مقدار الدم والقوة التي يُدفَع بها في ضربة من ضربات القلب ويغير سعة الاوعية الدموية يغير قوة الدورة اي ضغط الدم اللازم لفعله في تغذية الجسم وتطهيره من الفضول . والحاكم في هذه التغيُّرات كلها مجموع عصبي خاص يحفظ موازنتها فاذا اتسعت الاوعية الدموية في عضو من الاعضاء ضيَّق هذا المجموع العصبي اوعية لقابلها في مكان آخر لحفظ الموازنة والاَّ تغيَّرت موازنة الجسم . وعلى هذا المجموع العصبي يتوقف حفظ الصحة بنوع خاص لانهُ يبقي الدورة الدموية في حالة الانتظام مهما تغيرت احوال الجسم الخارجية والداخلية باختلاف الحر والبرد والخفة والضغط والفراغ والامتلاء واختلاف اوضاع الجسم وما اشبه . وعليهِ يتوقف فعل الدم في تغذية الجسم ونزع الفضول منهُ فاذا ايف تغيَّر ضغط الدم ايف الجسم كلهُ

وقد استُنبطت آلة يعرف بها ضغط الدم في الجسم ويرى بها ما يطرأ عليهِ من التغير ساعة بعد ساعة فتعلم بها احوال الدورة الدموية ومقدار التغذية . فاتضح بهذه الآلة ان الحمامات المختلفة تؤثر في ضغط الدم فبعضها يزيد الضغط وبعضها يقللهُ وهذا الفعل واقع ولكنهُ اذا تكرَّر يومًا بعد آخر تراكم تأثيرهُ بعضهُ فوق بعض فيمكن استخدام الاستحمام طبيًّا للتحكم في ضغط الدم وتعديل الدورة الدموية واعادة ليونة الاوعية الدموية الى حالتها الطبيعية وتنويع تغذية الاعضاء

مثال ذلك ان الحمامات الحارَّة على انواعها تقلل ضغط الدم والباردة تزيد ضغطهُ . والمواد المعدنية في المياه الملحية والكبريتية تقلل الضغط ايضًا . ووقوع الماء على الجلد بشدَّة يزيد ضغط الدم . وذلك الاعضاء يقلل الضغط بشرط ان لا يدلك البطن دلكًا شديدًا لان دلكهُ الشديد يزيد الضغط اذ يطرد الدم من اوعية البطن الى الدورة العامَّة

في حمامات آكس يستعمل الدلك ويصب الماء الحار بانبوب مرن على كتفي المستحم وبين ذراعيهِ وهو جالس والنتيجة من صب الماء الحار والدلك انخفاض الضغط . وفي حمامات فيشي يستلقي المستحم ويصب عليهِ الماء بالرشاشة (الدوش) وبدلك بطنهُ جيدًا مع سائر جسمهِ فيكون تأثير الحمام فيهِ زيادة ضغط الدم

ويتضح من ذلك ان حمامات آكس تزيد مقدار اليوريا وافراز الحامض اليوريك . واستعمال الماء الكبريتي فيها يقلل الحامض اليوريك كما تقدَّم ولذلك كانت هذه الحمامات نافعة جدًّا للنقرس لانها تقلل تكون الحامض اليوريك وتسرع اخراجهُ من الجسم فيقل مقدارهُ فيهِ

ثم ان الذهاب الى الحمامات المعدنية يفيد بتغيير الهواء والراحة والتخلُّص من عناء الاشغال وهموم البيت وبترتيب المعيشة والاقتصار على الطعام البسيط والنيام باكرًا ونحو ذلك مما يأول

كلهُ الى تحسين الصحة حتى لقد يظن البعض ان الفائدة الحقيقية تحصل من هذه الامور لا من الاستحمام نفسهِ. والفائدة حاصلة مهما كان سببها

افعال الزوابع

لو استطعنا ان نرى الارض لما كان هواؤها كثيفاً حاملاً بخار الماء وبخرة كثيرة من المواد السائلة والجامدة وهو يموج بفعل الحر والبرد لرأينا فيها من الزوابع والعواصف ما يدكُّ الجبال دكًّا اما الآن وقد نظف الهواء حتى صار كالطب ما يكون فلم تعد افعالهُ بالغةً في شدتها لكنها تزيد احياناً حتى تقوى على هدم البيوت واقتلاع الاشجار واحتمال الناس والمواشي كأنهم هباء منثور. ومن الغرب ما قرأناهُ من هذا القبيل وصف الزوبعة التي حدثت في كركسفيل بامبركا الشمالية في السابع والعشرين من شهر ابريل الماضي. قال الواصف

ما الوقوف امام قضاء مبرم لا مردَّ لهُ ولا القيام في وجه وحش فغر فاهُ وشجم عليك لافتراسك بارهب من الوقوف امام الزوبعة اذا ثارت واقبلت عليك كأنها البحر الزاخر حتى لقد قال الفرسان المجرَّبون الذين شهدوا معارك القتال مراراً انهم يفضلون اقتحام حصن حصين مشحون بالمقاتلة على الوقوف امام زوبعة ثائرة

ولقد كان من نصيبي ان شاهدت زوبعة من الزوابع التي تمر بامبركا فتكتسح الارض ولا تبقي ولا تذر فانني خرجت من بيتي في السابع والعشرين من شهر ابريل الماضي لاضع كتاباً في صندوق البريد. وكان الحرُّ اللافح والبرد القارس يتعاقبان من اول النهار. والسحب تسير في السماء سوداء قاتمة. والامطار تقع شآبيب تخللها دقائق صحو تسطع فيها اشعة الشمس. والرياح تهبُّ ثم تهجع على التوالي كأن الطبيعة كلها تتململ وتتمخض متوقعةً شراً عظيماً

ولما خرجت من البيت كانت الشمس قد غابت وكان المطر يقع رذاذاً ولم اكد اخرج من الباب حتى سمعت صوتاً كدوي الرعد من الجهة الغربية الجنوبية وكان البيت في مرتفع من الارض يطل على ما حوله فرأيت في جهة الافق سحابة من الرواعد سوداء قاتمة وتحتها اعصار يسير ماحقاً ويسرع نحوي وهو يزأر زئيراً متواصلاً كأنهُ قطار من قطارات سكك الحديد ثم ظهر لي كأنهُ ترك السحابة فوقهُ وجرى وحدهُ جرياً حثيثاً وهو يدور على نفسهِ كحجر الرحى فعدت الى البيت ودعوت زوجتي واولادي ليهربوا حالاً والاَّ سُدَّت في وجوههم ابواب النجاة فخرجوا من البيت وجاؤوا الى ساحة غربيهِ واقاموا بجانب شجرات كبيرات والتفتُّ الى السحابة